بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، شرف آدم أبا البشر بخلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وكرَّم ذرِّيته، فصورهم فى الأرحام فى أجمل صورة وخلقهم فى أحسن تقويم.

ورزقهم من الطيبات، وفضلهم على كثير من المخلوقات، وزوَّدهم بالعقل ليعرفوه، وأمدهم بالنعم ليذكروه، ويشكروه.

أنزل الكتب، واصطفى من الملائكة رسلاً، ومن الناس، لإبلاغ عباده شرائعه من الدين، ليعبدوه ويوحدوه، فتكمل بذلك آدميتهم، وتشرُف به إنسانيتهم ويتأهلوا لكرامة الدار الآخرة، والسعادة الدائمة فيها، حيث كتب لهم ذلك وقدَّره تقديراً، فسبحانه من رب رحيم، وإله عظيم، لا إله غيره، ولا رب سواه .

والصلاة والسلام التامان، الأكملان، الدائمان، والمتلازمان على محمد حبيب اللَّه، وخاتم رسله وأنبيائه، صفوة الخلق وخيرتهم، وإمام الأنبياء وسيدهم، صاحب لواء الحمد، والمقام المحمود، والحوض المورود، وسيد كل مولود، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وآل بيته الطيبين الطاهرين، وصحابته البررة الراشدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنه ـ نظراً لأهمية العقيدة الإسلامية فى حياة الفرد المسلم وضرورة خلوِّها من الشك، وسلامتها من شوائب الشرك: ونقائها من كدورات[1] الخرافات. ونظراً إلى الهزَّات العنيفة القوية التى تتعرض لها العقيدة الإسلامية فى هذه الأيام من جراء طغيان المادة من جهة، ومن طفرة العلوم الكونية المادية من جهة أخرى، نظراً إلى هذا وذاك فقد رأيت أن الحاجة جدُّ

(1) الكدورات: جمع كدورة. وهى الكدر الذى هو ضد الصفاء.

ماسة إلى وضع كتاب مناسب فى عقيدة المؤمن على ضوء كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، على أن يكون سهل العبارة، قريب الإشارة، حججه قوية، وأدلته قطعية، مضاءً بضياء الأدلة السمعية الدينية الشرعية، مناراً بأنوار الحجج العقلية النظرية القياسية.

كما رأيت أنى أقترب من شاطئ نهاية حياتى، وأتقدم بسرعة نحو باب مماتى، ورجوت ربى أن لا يأتينى أجلى إلا بعد أن تقضى لُباناتى[1] فى وضع الكتاب المطلوب، وتركه بعدى صدقة جارية، وحسنة سارية، يصلنى من بركتها ما يزيد فى نعيمى إن كنت من المنعمين، أو ما يخفف عنى عذابى إن كنت من المعذَّبين.

واستعنت بالله تعالى على وضع الكتاب المرغوب، وأخذت فى الجمع والتأليف، وفى التحرير والتحبير، ولم يمض طويل زمن حتى تَمَّ وضْعُ كتاب فى عقيدة المؤمن على ضوء الكتاب والسنة وجاء كما أملت، سهل العبارة، قريب الإشارة، حججه قوية، وأدلته قطعية.

غير أن كثرة الأعمال، وانشغال البال، قد حالت ـ مع الأسف ـ دون التنقيح، وإن لم تحل دون التصحيح ؛ فمعذرة إلى الإخوة القارئين إن رأوا تقديم ما حقه التأخير، أو تأخير ما حقه التقديم، أو زيادة كلمة فى جملة، أو نقصها من أخرى: فأخلّ ذلك بجمال التركيب، أو حسن الترتيب فأفقد الكلامَ طلاه، والأسلوب حلاه.

هذا، والكتاب لو لم أكن جامعه، ومؤلفه لقلت فيه ما يرغِّب فى اقتنائه ويبعث النفس على شرائه.

وهذا أراه غير مانعى من أن أقول فيه كلمة تقويم، لا تعظيم ولا تفخيم، تحدد معالمه، وتظهر محاسنه وتبين ما فيه من خصائص، وما له من مميزات. وهل فى ذكر ذلك من بأس إذا كان يحمل الإخوة المؤمنين على قراءة الكتاب، واعتقاد ما فيه من الحق والصواب ؟ لا سيما وأنى ما كتبته إلا لهم، وما جمعته وألفته إلا لعلمى بحاجتهم الأكيدة إليه، وافتقارهم الشديد إلى مثله ؛ إذ هم يعيشون فى زمن أصبح من الصعب فيه قراءة كتب الأولين، والاستفادة منها، وذلك لعوامل كثيرة من أهمها ما يلى: ـ

---

(1) اللبانة بالضم: الحاجة.

أولاً: ضعف الملكة العلمية التى يتأتى بها القارئ أن يفهم ما يقرأه، ويستفيد منه ما هو فى حاجة إليه من تصحيح معتقد، أو فهم حكم، أو تحقيق مطلب.

ثانياً: قلة العلماء الدارسين لكتب الأولين، المحققين لها، العالمين بما فيها، الذين يرجع إليهم الطالب اليوم فيما خَفِيَ عنه منها، أو أشكل عليه فيها.

ثالثاً: انعدام الهمم العوالى (إلا ما شاء اللّه)، تلك الهمم التى كانت تحمل أصحابها على الصبر فى الطلب، وعلى المثابرة فى الدَّرس حتى يلين الصُّلب، ويسهل الصعب، فتنكشف مخدِّرات المعانى، وتتجلى شمس العلوم والمعارف.

رابعاً: ما طبع به العصرُ اليوم أهلَه من حُب العجلة والعاجلة، والرَّغبة عن الأجلة[1] والآجلة. والعلمُ من شروط اكتسابه، والحصول عليه الصبرُ والأناة والرغبة فيما عند اللّه.

هذه بعض العوامل التى جعلت الحاجة إلى مثل هذا الكتاب الذى نقدِّم له: حاجةً ماسَّة، والعمل فى تأليفه وإخراجه من الأعمال الصالحة النافعة[2]

والآن، فإلى كلمة تقويم[3] الكتاب حيث أقول:

إنَّ هذا الكتاب الذى سمَّيته «**عقيدة المؤمن**» هو ـ بحق ـ حاوٍ لعقيدة المؤمن، مشتمل على أصولها، جامع لفروعها، لم يترك من أصول العقيدة ما يخلُّ بها، ولم يغفل من فروعها ما يضعفها أو يوهنها، فقد اشتمل على الإيمان باللّه تعالى وأدلته ومراتب المؤمنين فيه، وعلى توحيد اللّه تعالى، وأقسامه، وعلى الشرك وأنواعه ومظاهره، وعلى بيان الوسيلة والتوسل، والشَّفاعة والاستشفاع، وعلى أولياء الرحمن وكراماتهم، وأولياء الشيطان ومهاناتهم، وعلى

---

(1) الأجلة: المتأخرة. قال صاحب القاموس المحيط: أجل كفرح فهو أجل وأجيل: تأخر. والعاجلة: الدنيا، والآجلة: الآخرة.

(2) أى المتعدى نفعها إلى غير عاملها.

(3) أى بيان قيمة الكتاب المعنوية، ومن اللحن الشائع قولهم: تقييم كذا بمعنى تقويمه.

الإيمان بالملائكة، وأدلة وجودهم: العقلية والسمعية، وعلى بيان مراتبهم وأعمالهم وأحوالهم ومادة خلقهم، وعلى ذكر الجن ومادة خلقهم، وعلى ذكر أحوالهم وأعمالهم، ومآلهم، وعلى ذكر الشياطين وما جُبلوا عليه، وما يحفظ الإنسان منهم، وينجيه من كيدهم. وعلى الإيمان بالكتب الإلهية المنزَّلة، ومَنْ نزلت عليهم، وأدلة ثبوتها، وبيان عددها، وأسمائهم، وناسخها، ومنسوخها، وعلى الإيمان بالرسل (عليهم الصلاة والسلام)، وبيان عددهم وأسمائهم، وأسماء أممهم، وبيان ديارهم وأزمنتهم، وعلى أعاظمهم وهم أولو العزم، وعلى أدلة الوحى وثبوته بالأدلة العقلية والسمعية، وحاجة الناس إلى الوحى الإلهى، وعدم استغنائهم عنه بحال من الأحوال. وعلى المعاد، والبعث، والجزاء، وإمكان ذلك، ووجوب الإيمان به، وعلى كيفية البعث وأحوال الناس فيه، وما يجرى عليهم، ويطرأ لهم: مِنْ وزنِ أعمالهم وعبورهم على الصراط، ونجاة الناجين، وهلاك الهالكين، وعلى ذكْر دار السلام، وما فيها من نعيم مقيم، وعلى ذكر دار البوار وما فيها من جحيم وحميم، وعلى الإيمان بالقدر، وأدلة وجوب الإيمان به العقلية القياسية، والدينية الشَّرعية، وعلى ذكر الجبر والاختيار، والإرادة والمشيئة، والهداية والإضلال، والحسنة والسيئة. وعلى خاتمة فى بيان ثمرة هذه العقيدة، وفائدتها المقصودة منها، والمتوخاة فيها.

ومن خصائص هذا الكتاب: احتواؤه على كل أجزاء العقيدة الإسلامية، وبحثها بالتفصيل، ومن مميزاته: جمعه ـ فى إثبات مسائله ـ بين الدَّليلين العقلى والسمعى، وكتابته بروح العصر.

واللّه أسأل أن ينفع به من يقرأه ويدرسه، وأن لا يحرمنى أجر ما بذلت فيه من جهد، هو من فضل ربى علىَّ وإكرامه لى. والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

حاجة الإنسان إلى العقيدة وضرورتها له

ما هو الإنسان ؟

الإنسان هو هذا الكائن الحىُّ المنتصبُ القامة، البادى البَشرة، ذو العقل والتفكير والأخلاق الفاضلة، والعواطف الجيَّاشة، والإحساسات الصادقة، والمنطق السليم، والكلام الفصيح المبين. ابتدأ اللّه تعالى خَلْقَه من طين، ثم جعل ذريته من سلالة من ماء مهين ؛ إذ خلق آدم من طين بيديه، ونفخ فيه من روحه، وخلق منه أنثاهُ حوَّاء، وعلمه الأسماءَ، وأسجَد له ملائكة السماء، فسجدوا كلهم أجمعون إلا أبليس أبى. ونهاه عن الأكل من الشجرة فنسىَ، فأكل منها، فعصىَ وغَوى، وتلقى كلمات منه تعالى، فقالها فتاب عليه وهَداه، وأهبطه إلى الأرض خليفةً فيها بعد أن هيأها له، وسخَّر له كل ما فيها.

هذا هو الإنسانُ فى معتقدنا، وهو ـ أى معتقدنا هذا فى الإنسان ـ مُسْتَقًى من وحى السماء لا مجال فيه للَقياس ولا للنظرَ والاستدلال ؛ إذ مثلُه لا يُعلم بغير الوحى أبداً.

وهذه حقوقه عندنا: حرمةُ دمه، وماله، وعرضه، واحترام مشاعره وعواطفه وأخلاقه، والاعترافُ بحرياته الشخصية ما لم يخلُّ بكرامتَه، ومصالح الهيئة الاجتماعية التى هو أحد أفرادها، وجزء من أجزائها.

وأدلة عقيدتنا هذه ـ فى الإنسان ـ هى إخبار خالقه عنه، وعن كيفية خلقه وتنشئته، الواصلة إلينا من طريق يحيل العقلُ البشرىُّ تكذيبها وإنكارَها وَهى أقوالُه تعالى، فى كتابه الكَريم: القرآن العظيم، إذ قال تعالى فى خلق آدم: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ (الحجر: 26).

وقال عنه أيضاً: ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ (ص: 71، 72).

وقال عنه أيضاً: ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ** ﴾ (السجدة: 7).

وقال فى خلق ذريته: ﴿ **ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ** ﴾ (السجدة: 8).

وقال فى خلق الإنسان الذى هو ابنُ آدم: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ** ﴾ (الإنسان: 2).

وقال فى خلقه أيضاً: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ (المؤمنون: 12 ـ 14).

وقال في خلق المرأة الأولى حواء: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ (النساء: 1).

وقال عنها أيضاً: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (الأعراف: 189).

وقال في تعليمه ـ آدم ـ الأسماءَ والبيان: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: 31).

وقال: ﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن: 1-4).

وقال في خلقه ـ آدم ـ بيديه وتسويته له، وإسجاد ملائكته له: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (ص: 71-76).

وقال في نهيه ـ آدم ـ عن الأكل من الشجرة التي أكل منها بتغرير من الشيطان فعصى وغوى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ (طه: 115-123).

وقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: 37).

وقال في بيان هذه الكلمات من سورة الأعراف: ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف: 23).

وأقوال رسوله ﷺ التي تلقاها وحياً من ربه سبحانه وتعالى، فقد روى مسلمٌ في صحيحه عنه ﷺ قوله: «خُلِقَتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وخلق الجان مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وخلق آدمُ مما وُصِفَ لكُمْ»(1) يعني ﷺ وخلق آدم من طين، كما بين ذلك في القرآن الكريم، وقال ﷺ في رواية

(1) متن مسلم (8/ 226).

البخارى ومسلم: «يَجتمعُ المؤمنون يوم القيامة فيقولون: ألا تَنْظُرُوْنَ منْ يَشْفَعُ لكُمْ إلى ربِّكُمْ ؟! فيأتُونَ آدمَ عليه السَّلام فيَقُولُونَ: أنْتَ أبو البشَر خَلقَكَ اللّه بيده، ونَفَخَ فيكَ من رُوحه، وأمَرَ الملائكةَ فَسَجدُوا لَكَ... إلخ[1]» ... والشاهدُ منه فى قوله ﷺ: «خلقَكَ اللّه بيده». فلو لم يَكن خَلقهُ خَلقاً مباشراً، وإنما كان كخلق سائر الناس لما كان لذكر اليد والخلْق أىُّ ميزة، أو فضيلة على خلق غيره من بنى آدم. وقال ﷺ -فى رواية البخارى ومسلم وأحمد واللفظُ له-: «احتَجَّ آدمُ ومُوسَى فقَال مُوسَى: يا آدمُ أنْتَ الذى خَلقَكَ اللّه بيده، ونَفَخَ فيكَ منْ رُوْحه أغْويتَ الناسَ وأخْرَجْتَهُمْ من الجنَّة. قال: فقَال آدمُ: وأنْتَ مُوسَى الذى اصطَفَاكَ اللّه بكَلامه تَلُومُنى على عمل أعْمَلهُ قَدَّرهُ اللّه علىَّ قَبلَ أنْ يَخْلُقَ السَموات والأرض بأربعين سَنَة ! قَالَ: قالَ: فَحَجَّ آدمُ مُوْسَى»[2].

وقال ﷺ -فى رواية أحمد وأبى داود والترمذى وصححها-: «إن اللّهَ خلقَ آدمَ من قَبْضة قبضها منْ جَميع الأرض فجاءَ بنو آدمَ على قدر الأرض، فَجَاءَ منْهُمْ الأبيضُ والأحمرُ والأسودُ وبين ذلكَ، والسهْلُ والحزْنُ وبين ذلك، والخبيثُ والطيبُ وبيَن ذلك»[3].

وقال ﷺ -فى رواية البخارى-: «خَلَقَ اللّهُ آدمَ على صورته وطوله ستونَ ذراعاً، ثم قَالَ: اذهبْ فَسَلِّم على أولئكَ النَّفر منَ الملائكة فاستمعْ ما يُحيُّونَكَ ؛ فإنَهَا تحيتُك وتحيةُ ذرِّيتك، فَقَال: السلامُ عليكُمْ. فَقَالوا: عَليكَ السلامُ ورحمةُ اللّه، فزادوه ورحمةُ اللّه، فكُلُّ مَنْ يدخلُ الجنةَ على صُورَة آدمَ، فلم يزلْ الخلْقُ يَنقصُ بعدُ حتى الآن»[4].

وقال ﷺ -فى رواية مسلم-: «خَيرُ يوم طَلَعَتْ فيه الشمسُ يوْمُ الجمعة، فيه خُلقَ آدمُ، وفيه أُدخل الجنةَ، وفيه أُخرجَ منها، ولا تقومُ الساعةُ إلا فى يوم الجُمُعة»[5].

وبعدُ: فهذه الأقوالُ الإلهيةُ، والأحاديثُ النبويَّةُ كلُّها قاضيةٌ بخلق آدمَ عليه السلام خلْقاً مُباشراً. خلَقَه اللّهُ تعالى بَيده، ونفخَ فيه من روحه، وأسجدَ له ملائكتَه، وعلَّمه الأسماء كلّها، وجعَلَ طولَه ستين ذراعاً، وَأسكنَه جنَّته، ثم أخرجَه منها لما أكلَ من الشجرة فعَصَى وغوَى، وأهبطَه إلى الأرض هو وزوجه حواء التى خلقها اللّه منه بالأمرِ الإلهى، وأمرُه إذا أراد شيئاً أن يقول له: كنْ فيكون.

---

(1) اللؤلؤ والمرجان (1/ 49/ 50).

(2) اللؤلؤ والمرجان (3/ 311)، مسلم (8/ 49)، وكذا أبو داود (2/ 528)، والفتح الربانى (1/ 127)، وألفاظهم متقاربة.

(3) أبو داود (2/ 525)، والترمذى فى تفسير سورة البقرة، وأحمد فى (5/ 338).

(4) البخارى (8/ 62)، وعلى صورته أى على صورة آدم التى خلقه بها كما فى آخر الحديث.

(5) مسلم (3/ 6).

ومن آدمَ وحواء وبطريق التَّناسل والخلق التدريجيّ خَلقَ اللَّهُ ذريتَه فى كمالهم وجمالهم فصحاءَ عُقلاء سادة فى الأرض، قَد سخَّر اللَّهُ لهم كلَّ ما فيها لينتفعوا به فى حياتهم الدنيا، وبعثَ فيهم الرُّسُلَ، وأنزلَ عليهم الكتبَ تكميلاً لآدميتهم وإسعاداً لهم فى حياتهم، وإعداداً لهم بواسطة تزكية نفوسهم، وتطهير أرواحهم للسعادة الأُخرويَّة فى الملكوت الأعلى بعد موتهم وانْقضاء آجالهم.

هذا هو الإنسانُ المكرَّم فى مُعْتَقَد المؤمنين أجمعين. وأما الإنسانُ فى معتقد الملحدين الكافرين فهو متحول عن خَلية هبطتْ من بعض الكواكب إلى الأرض ثم نَمَتْ فيها، فكانت حيواناً رديئاً فى أبسط شكل، ثم تغيرتً الأرض بفعل بعض المُؤثرات الطبيعية، فاضطر هذا الحيوانُ المخلوقُ لتغيير شكل معيشته، فتبع ذلك تَغيُّرٌ فى صفاته، ثم استحال مع طول الزمن وكثرة المؤثرات[1] المختلفة إلى أحوال فارق فيها جنسه الأول، ثم ارتقى إلى قرد على مبدأ النشوء والارتقاء الذى فتنوا به، ثم مرت عليه ملايين السنين فارتقى إلى حيوان آخر، هو بين القرد والإنسان بواسطة بينهما، ثم انقرض هذا الحيوان الواسطة بدليل عدم العثور عليه فى آثار الأحياء. ولعل انقراضه كان على مبدأ الانتخاب الطبيعى، والبقاء للأصلح ـ كما يقولون ـ ومن ذلك الحَيوان الواسطة المفقود ارتقى الإنسان إلى ما هو عليه الآن !!.

وبنوا معتقدهم هذا فى خلق الإنسان، وأنه متحول من القرد، على أساس مجموعة نظريات هى الانتخاب الطبيعى، والبقاء للأصلح، والنشوء والارتقاء، والمطابقة، وعامل الوراثة. وهى فى الجملة نظريات صحيحة معلومة بالحسِّ، وهى سنن اللَّه تعالى فى الخلق والتكوين لكثير من المخلوقات، فالإنسان ابن آدم يوجد أولا خليَّة فى نطفة الرجل وماء المرأة، ثم يكون حيواناً منوياً ذكراً أو أنثى، ثم يتلاقح كما هى سنَّة اللَّه تعالى فى اللقاح، ثم يتدرج خلقه من حال إلى حال إلى أن يتم خلقه فيصير بشراً سوياً كما جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ (المؤمنون:13-14).

وكما صح به قول الرسول ﷺ: « **إنَّ أحدكُمْ يُجمْع خَلْقُهُ فى بَطْن أمِّه أربعيَن يوماً نُطفةً، ثم يكونُ عَلَقةً مثْلَ ذَلك، ثُمَّ يكونُ مضْغةً مثلَ ذَلكَ، ثُمَّ يأتى إليه المَلكُ فينفخُ فيه الروحَ، ثُمَّ يؤمر بكتْب أربع كَلمات: رزْقُهُ، وأجلُهُ، وعملُهُ، وشقيٌّ أو سعيدٌ** »[2]، وقد سئل رسول اللَّه ﷺ: «بم

(1) لا غرابة فى هذا التصور المضحك المزرى، لأنه البديل لهم عن الإيمان بخلق الله تعالى للإنسان، إذ إنهم لو آمنوا بأن الله تعالى خلق آدم خلقاً مباشراً كما ذكر تعالى، لآمنوا بالله وعبدوه، وهم لا يريدون ذلك، فلذا هم مضطرون إلى هذا الافتراء والهراء والتلفيق أعماهم الله ولعنهم.

(2) أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود مطولاً، راجع اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (3/ 207-208)، طبعة عيسى الحلبى وشركاه.

يكون الشبه فى الولد ؟ فقال: فإذا سبَقَ ماءُ الرجُل ماءَ المرأة نَزَعَ الولدُ له وإذا سَبقَ ماءُ المرأة نَزَعت الولد» رواه البخارى[1]. وهو إشارة إلى عاملَ الوراثة.

وعجمة التمر تلقى فى الأرض نواة لا حياة فيها، ثم تنفلق عن غصن أخضر. ثم يتدرج خلقها حتى تصبح نخلةً باسقةً لها طلع نضيد رزقاً للعباد. وبالجملة فسنن اللَّه تعالى فى الخلق التدريجى فى الإنسان والحيوان والنبات ثابتةٌ لا تنكر، وسنَّتُه تعالى فى انتقال صفات الأصل إلى فرعه ثابتة كذلك، وسنته تعالى فى البقاء للأصلح ظاهرة فى كثير من الكائنات، ولكنَّ هذه السنن هى من خلق اللَّه وتقديره، وهى خاضعة لإرادته ومشيئته ؛ ولذا يخرقها بالمعجزات التى يعطيها لأنبيائه تدليلاً على صدق ما ادعوه من أنهم أنبياؤه ورسله، فَخلْقُ عيسى عليه السلام كان على خلافَ سنَّة الخلْق المعروف فى سائر بنى آدم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران:59).

وتكلُّمُ عيسى فى المهد فى أسبوع ولادته كان على خلاف سنة اللَّه تعالى فى نطق الإنسان الذى لا يتمُّ إلا بعد قطع الطفل مرحلةً من حَياته. وسلامَة إبراهيمَ من إحراق النار لما يُلْقَى فيها من أجسام قابلة للاحتراق، وأمثلةُ إبطال اللّه تعالى لسنته فى خلقه متى شاء ذلك كثيرةٌ. **والمقصود من هذا:** أنّ ما يسميه الملاحدةُ بالقوانين الطبيعية ويتَّخذون منه دليلاً على كفرهم باللّه تعالى، ما هو فى الواقع إلا سنَنُ اللَّه تعالى التى أودعها فى الكون. يُوجدُ بها ويخلُق ما يشاء إيجاده وخلْقه، وهى خاضعةٌ لله تعالى، متى شاء أمضاها، ثابتةٌ لا تتغيَّرُ، ولا تتَبدلُ كما قال اللّه تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ (فاطر:43). ومتى شاء أوقفها وأبطلها لحكمة منه اقتضت ذلك، وهو العزيز الحكيم.

بَيْدَ أنَّ خلق آدم وحواء عليهما السلام كان بالخلق المباشر، ولم يكن أبداً كما تخيل الملاحدةُ، وتصوروا، لأخبار اللَّه تعالى وأخبار رسله التى يستَحيل فيها الكذبُ، هذا وقد ناقش العلماءُ المؤمنون هذه النَّظَريةَ الدارونية التى أصبحت مذهبَ الملاحدة ومعتقدَهم، وأبطلوها نهائيًا بنفس المقاييس والنظريات الطبيعية التى أثبتها الدارونيون بها.

وهذه بعض الاعتراضات التى عورضت بها النظرية الدارونية وأبطلتها:

1 ـ إذا كانت نظرية النشوء والارتقاء مطَّردة فى كل شىء، فعن أى شىء ترقت الأنعام التى

(1) (فى 5/ 88، 4/ 10) متن مسلم بلفظ: (إذا علا ماؤها ماء الرجل شبه الولد أخواله، وإذا علا ماء الرجل ماءها شبه أعمامه) (1/ 173)، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

هى الإبل والبقر والغنم ؟[1]، وعن أى شىء ترقت البهائم ذات القوائم الأربع: الخيل والبغال والحمير، والأسد والنمر والفيل والذئب والكلب.

2 ـ ومضت القرون الطويلة على هذه الحيوانات ولم تترقَّ إلى ما هو أكمل منها ؛ إذ الكمالُ لا حدَّ له، فبقى الفرس فرساً والكلب كلباً، والأسد أسداً، والذئب ذئباً ؟ والإنسانُ إنساناً، منتهياً كل منها إلى ما هو عليه الآن، ومنذ قرون طويلة ؟؟؟

3 ـ لمَ بقى القرد الأولُ، وانقرض الحيوان الواسطة الذى ترقى من القرد ؟ فلو كانت نظرية البقاء للأصلح، والانتخاب الطبيعى مطردة لانقرض القرد الأول وبقىَ الحيوانُ الواسطةُ الذى ترقَّى عن الأول ؛ لأنَّه أكمل منه وأصلحُ، والبقاء للأصلح ؟؟

فَلمَ هنا كان البقاء لغير الأصلح. ولِمَ أساء الانتخاب الطبيعى هنا فانتخب الناقص فأبقاه، ولم ينتخب الكامل فأرداه ؟

4 ـ إن مذهبكم المادى قائم على أساس نكران القياس والنظر والاستدلال. فلم تؤمنوا بغير المرئى المحسوس، فلمَ خالفتموه هنا، وقلتم بالنظر والقياس والاستدلال ؛ لأنكم ما شهدتم الخلية الأولى التى زعمتم أنها نزلت من بعض الكواكب. كما أنكم لم تشاهدوا المؤثرات الطبيعية التى زعمتم أنها اقتضت من الحيوان الأول أن يغير أسلوب معيشته حتى ترقى تبعاً لذلك، كما أنكم لم تشاهدوا الحيوان الواسطة وقلتم بمجرد النظر والقياس، وبذلك نقضتم مذهبكم المادى، وخرجتم عنه، فثبت عجزكم، وبطل معتقدكم فى النظرية الدارونية التى قال عنها أحد العلماء المؤمنين: «إنها نظرية أبوها الكفر وأمها القذارة ..»[2].

وأخيراً فقد اعترف كبار أصحاب النظرية الدارونية بعجزهم، وقالوا بالحرف الواحد: إن نظرية النشوء والارتقاء ليست ثابتة علمياً، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان أبداً، وإنما آمنا بها ؛ لأنها البديل الوحيد عن الإيمان بالله !.

وبهذا افتضحت اللعبة، واكتشفت الجريمة، والحمد لله.

---

(1) يقول الله تعالى من سورة الزمر: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ إلى آية (6) فلننظر كيف عبر تعالى عن خلق الأنعام بلفظ الإنزال ولم يعبر بلفظ الإخراج كما قال فى الثمار: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ من سورة البقرة (22).

(2) قصة الإيمان (193) من فصل: بين دارون والجسر.

(مقارنة)

ولنختم الحديث عن الإنسان بالمقارنة التالية، ليتجلى الفرق بين الإنسان عند المؤمنين، والإنسان عند الملاحدة الداروينيين، فنقول:

الإنسان عند المؤمنين:

خلق فى السماء خلقاً مباشراً مستقلاً، خلقه اللّه بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكة السماء، خلقه فى أحسن تقويم، وخصه بالتكريم بين العالمين.

حرم دمه وماله وعرضه إلا بحق، أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب؛ فهيأه بذلك للكمال، وأعده لسعادة الحال والمآل. أخبر عن خلقه وتكوينه وكرامته ومآله وخالقه وأنبيائه الذين أرسلوا إليه.

الإنسان عند الملحدين:

خلق بواسطة النشوء والارتقاء فى أقبح صورة، ثم تدرج فى ملايين السنين إلى أن أصبح قرداً، ثم ترقى إلى حيوان أرقى من القرد فى ملايين أخرى من السنين.

أخبر عن خلقه ونشوئه وتكوينه كبارُ الملاحدة، وشرار الناس، وأكثرهم فساداً وفجوراً، مآله الهلاك والدمار، فلا خلود له ولا بقاء.

والآن يا معشر العقلاء، فأى الإنسانين أحق بالتكريم، وأى الإنسانين يجب أن يعترف به الناس أجمعون، إنسان المؤمنين أم إنسان الملاحدة (الداروينيين) ؟!

إنه من المسخ فى العقول، والشذوذ فى الفهوم، والانحراف فى الفطر: القول بنظرية (الداروينيين) فى الإنسان، إنَّها نظرية فاسدة خبيثة أبوها الكفر وأمها القذارة[1].

* * *

(1) نفس المرجع فى ص (21).

العقيدة

ما هي العقيدة ؟

العقيدة هي: مجموعة من قضايا الحقِّ البدهيَّة المسلَّمة بالعقل، والسمع، والفطرة، يَعقدُ عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً.

وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه، وعلمه به، وقدرته عليه، ولقائه به بعد موته ونهاية حياته، ومجازاته إياه على كسبه الاختيارى، وعلمه غير الاضطرارى. وكاعتقاده بوجوب طاعته فيما بلغه من أوامره ونواهيه من طريق كتبه ورسُله طاعة تزكو بها نفسه، وتتهذَّب بها مشاعره، وتكمل بها أخلاقه، وتنتظم بها علاقته بين الخلق والحياة.

وكاعتقاده بغنى ربِّه تعالى، وافتقاره هو إليه، وفى كلِّ شأنه حتى فى أنفاسه التى يرددها، فباللّه تعالى حياتُه، وعليه وحده توكله واعتماده، إذ هو مَحطُّ رجائه إذا طمع، ومَأمَنُ خوفه إذا خاف، بحبه يُحبُّ، وببغضه يُبغض.

هو مولاه الذى لا مولى له غيره، ومعبوده الذى لا معبودَ له سواه، لا يرى ربوبيةَ غيره، ولا يعتقد ألوهيةَ سواه.

* * *

حاجة الإنسان إلى العقيدة

دعوى استغناء الإنسان عن العقيدة دعوى باطلة، يكذبها الواقع، ويبطلها تاريخ البشرية الطويل ؛ إذ واقع البشرية شاهد على أن الإنسان حيثما كان، وفى أى ظرف وُجد ؛ وعلى اختلاف أحواله، وتباين ظروفه لا يخلو من عقيدة أبداً، وسواء كانت تلك العقيدة حقًا أو باطلاً، صحيحة أو فاسدة حتى أولئك الذين يدعون اليوم أن العلم قد أغنى عن العقيدة وعن التدين، وأن الإنسان فى عصر الذرة، وغزو الفضاء لم يصبح فى حاجة إلى الإيمان باللّه تعالى، وبالغوا فى الكفر والإنكار حتى قالوا: إن الإلة لم يخلق الإنسان، وإنما الإنسان هو الذى خلق الإله[1]، وهم يريدون بذلك أن الإنسان فى الظروف الصعبة التى كان يعيشها، والمخاوف تنتابه من كل ما حوله من مظاهر الكون ؛ إذ هو يخاف المرض، ويخاف الفقر، ويخاف الرعد والبرق، والفيضان والسيول، والعواصف والزلازل، وحتى الحيوانات، اضطر لأجل ذلك إلى الإيمان بقوة غيبية ذات قدرة لا تَعجز، وسلطان لا يُغلب ولا يقهر، سماها إلهاً يفزع إليه عند الشدائد، ويتقرب إليه بالعبادات ليدفع عنه الشرور، ويقيه من المهالك، لهذا قالوا: إن الإنسان هو الذى خلق الإله، وليس الإله هو الذى خلق الإنسان، وهو قول مضحك، وجهل فاضح، وكفر صريح، وكذب ممقوت، ومغالطة مكشوفة، وسخف عقول لا حد له !!!!

وتحرير هذه القضية الفاسدة: هو أنهم إن كانوا يعنون بالإله الذى خلَقه هو إله الوثنيين الذين اتخذوا أصناماً آلهة، نحتوها بأيديهم، وعبدوها بأهوائهم، فنعم. هذه الآلهة خلقها الإنسان، وليست هى التى خلقت الإنسان. وأما إن كانوا يعنون بالإله الذى خلق الإنسان، اللّه الذى خلق السموات والأرض وما فيها، وما بينهما، وخلق الإنسان، وكرَّمه فأنزل عليه كتبه، وبعث إليه رسله، وعرفه بنفسه، وبشرائعه التى بها يتم كماله، وتتحقق سعادته، فقولهم مغالطة، وجهل، وسخف، وكذب ؛ إذ الإنسانُ لم يخلق حتى نفسه فضلاً عن أن يخلق غيره، فكيف باللّه خالق كل شىء وربه ومليكه. سبحان اللّه وتعالى عما يصفون.

---

(1) هذه العبارة القذرة من قاموس الشيوعية الماركسية عدوة الإنسان.

إن ادعاءهم استغناء الإنسان اليوم عن الإيمان باللّه تعالى، لأنه عرف الطبيعة، واكتشف أسرار الكون، فما أصبح يخاف المرض، ولا الفقر، ولا الفيضانات، ولا الزلازل، والجوائح، ولا العاهات، ادعاءٌ باطل لا وزن له، ولا قيمة أبداً[1]؛ إذ الإنسان ما زال يخاف من كل هذه، وجميع وسائله التى يملكها ليدفع بها عن نفسه لم تُؤَمِّنْه بعد، ولن تؤمنه أبداً، وكيف ؟ والآلام التى يعانيها الإنسان اليوم جسمانيّاً تزداد يوماً بعد يوم، وفى كل أنحاء الوجود البشرى، فوباء الكوليرا، وأمراض السرطان، والبرص، والصرع، وغيرها ما زالت تفتك بالآلاف من الناس، وفى كل سنة، والمجاعات تهدد مناطق شاسعة من العالم، والفيضانات تجرف كل سنة القرى العديدة، وتقتل وتشرد الآلاف من الناس، والزلزال من الحين إلى الحين يدمِّر المدن والقرى، ويودى بحياة الآلاف من البشر، ولم يستطع الإنسان الكافر باللّه، والذى يدعى أنه خلق الإله، لم يستطع أن ينجو من هذه الويلات فضلاً عن أن يضع لها حداً، أو يوقف وجودها. بل ازدادت مصائب الإنسان ومحنه، وعظم الخطب واشتد عليه لما كفر بربه، ودينه، فأصبح فى تمزُّق شخصى، وهبوط نفسى، وسقوط خُلقى كاد يفقد معها طعم حياته ولذة وجوده، لقد غاض ماء الحياة من وجهه فأصبح صفيقاً، عربيداً، فاحشاً، متفحشاً، وغار معين الكرامة الآدمية فيه فصار لا غيرة له ولا شهامة ولا كرامة، ولا مروءة. ألف الكذب، والغدر، والخيانة، وتعوَّد الجريمة ومرد[2] على النفاق، والتضليل، والخداع فساءت المجتمعات البشرية وهبطت فيه الحياة إلى أبعد حدود الهبوط والسقوط، حتى صاح العقلاء منددين بالكفر والإلحاد، مطالبين بالرجعة إلى الدين والإيمان، بل حتى كبار الملاحدة قد نكسوا على رؤوسهم، وقالوا فى وضوح: لا غنى عن الدين، وطالبوا علماء النفس والاجتماع بأن يضعوا لهم ديناً ،ولكن بدون الإيمان باللّه، وذلك لأن اللّه يأمر بالعدل، والإحسان، وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء، والمنكر، والبغى[3]، وهم لا يريدون عدلاً، ولا معروفاً، ولا إحساناً، كما لا يريدون أن يتخلوا

---

(1) ادعاء باطل خبر إن الموجود فى أول الكلام وما بينهما اعتراض فليتنبه له.

(2) مرد: أى أقام عليه ولم يتب منه، ولج فيه وأبى غيره.

(3) هذا مقتبس من الآية (90) فى سورة النحل.

عن الظلم، ولا عن الفحش، والمنكر. ولذا فهم يريدون ديناً صناعيًا يهذب نفس الإنسان، ويكمل أخلاقه، وبدون ذكر الله فيه، ولا ذكر أمره تعالى أو نهيه: وهيهات هيهات أن ينفع دين صناعى فى تقويم الأخلاق، وإصلاح النفوس، وتهذيب المشاعر، وتطهير الأرواح، إن القوم مغرورون، مخدوعون، جهال، ضالون، مضللون، لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم.

والقصد من إيراد هذا الذى ذكرناه، هو تقرير حقيقة علمية ثابتة بكل القوانين العقلية، والشرعية، وهى أن الإنسان دائماً فى حاجة إلى الإيمان، والتدين، والعقيدة، وأن الدين ضرورة من ضرورات حياته، وحاجة من حاجات نفسه، فلا غنى له عن الإيمان بربه، وعن عبادته بحال من الأحوال. ومن هنا لم تخلُ أمة وجدت على وجه الأرض ومنذ عهد الإنسان بالحياة من عقيدة ودين[1]، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر:24).

والمراد من النذير نبى، أو رسول، أو عالم وارث لعلم النبوة ينذر تلك الأمة عاقبة الكفر بالله وبكتبه، ورسله، وشرائعه، ويحذرها من نتائج الشرك بربها، والمعصية له، ولرسله وما يتبع ذلك من انحراف السلوك بالظلم والشر والفساد.

* * *

(1) قال بازماك المؤرخ الإغريقى مقرراً الحقيقة التى قررناها وذكرها القرآن الكريم، قال: قد وُجدت فى التاريخ مدن بلا حصون ولا قصور وبلا سدود ولا قناطر، ولكن لم توجد مدن بلا معابد.

وجه ضرورة الدين للإنسان

الإنسانُ منذُ أن وُجد على هذه الأرض بهبوط أبيه الأول آدم، وأمِّه حواء عليهما السلام من الجنة دار السلام، وهو فى حاجة ماسة وملحة أيضاً إلى قوانين ضابطة تعدِّل من غرائزه، وتنظم سلوكه، وتحددُ اتجاهاته، وتهيئُه للكمال الذى خلق مستعداً له فى كلتا حياته: الأولى هذه التى يقضيها قصيرةً على هذه الأرض، والثانية التى تتم له فى عالم غير هذا العالم الأرضى الهابط، وإنما فى عالم الطهر والصفاء، فى الملكوت الأعلى كما أخبر بذلك ربُّه بواسطة كتبه التى أنزلها، وأنبيائه الذين أرسلهم.

غيرَ أنَّ تلك القوانين المطلوبة لتعديل غرائزه، وتنظيم سلوكه، وتحديد اتجاهاته فى الحياة، لا توجد ـ وهيهات هيهات أن توجد فى تشريع غير ربانى، أو سماوى لا دخل لأهل الأرض فى وضعه وشرعه، إذ لا يُعرِّف الإنسان بعواطفه وأشواقه، ولواعج نفسه، وبأفكاره، وآماله، ومتطلعاته، ولا يقوى على توفيته مطلوبه من ذلك كله إلا اللّهُ خالقه. فهو ـ إذاً ـ وحده الذى يحق له أن يضع له من القوانين، والشرائع، والأديان ما يكمله به ويعده للكمال والسعادة الأبدية الخالدة.

ولذا كان الدين ضروريًا للإنسان بوضعه الخاص يأكل ويشرب، ويتوقَّى الحرَّ والبرد، وعليه أن يعمل لإعداد ذلك لنفسه فيُوجد بالسنن التى وضعها ربُّه طعامه وشرابه، ولباسه، ودواءه، وسكنه ومركوبه. وهذه حال تدعو إلى تعاون أفراده لتوفير ما به تقوم حياتهم، وتستمرُّ إلى نهاية أجلها المسمَّى.

والإنسان بفطرته يشعرُ بضعفه، وحاجته إلى ربه فى إعانته وتوفيقه ورعايته وحفظه، ولذا فهو يطلب التعرف إلى ربه، والتعرف إليه بما يحب من أنواع القرب وضروب الطاعات والعبادات.

والإنسان بمواهبه، وأفكاره، ومشاعره، وأحاسيسه، يطلب دائماً المزيد من السموِّ والرِّفعة فى ذلك، حتى لا يريدُ أنْ يقفَ عند حدٍّ أبداً، فهو إذاً فى أحواله الثلاثة التى ذكرنا مفتقرٌ إلى تشريع دينى إلهى يلائم فطرته، وينظم له علاقته فيما بينه وبين أفراده الذين لا يستغنى عن التعاون معهم لتوفير أسباب حياته. وبقائها صالحة فى هذا الوجود من مَطعم،

ومشرب، وملبس، ومسكن، ومركب، ويمده بعلوم ومعارف عن ربه ولقائه، وعن كيفية عبادته ودعائه، وذكره والتقرب إليه بفعل طاعته، وإتيان محابِّه، وترك مكارهه، واجتناب مساخطه، كما يمده بفيض علمى كامل عن الحياة والكون يعرف به حقيقة الوجود، وعلة الكون والحياة، وأسباب السمو والكمال، والهبوط والنقصان التى تطرأ له فى حياته الأولى والآخرة .

وبناءً على كل ما تقدم، فضرورة الإنسان إلى دين إلهى صحيح أشدُّ من ضرورته إلى العناصر الأولية لحفظ حياته من ماء، وغذاء، وهواء، ولا يُنكر هذه الحقيقة، أو يجادل فيها إلا معاند مكابر، لا يُؤبَه لعناده، ولا يُلتفت إلى جداله.

كما أن دعوى العقل فى إمكانه الاستقلال بهداية الإنسان إلى ما يصلحه ويسعده، دعوى باطلة ساقطة لا وزن لها ولا واقع، وذلك لأننا رأينا الكثير من الأمم والشعوب لما فقدت هداية الوحى الإلهى لم تُغْنِ عنها هدايةُ العقول شيئاً، فضلت وهلكت، ومما قاله القرآن فى هذا الموضوع قوله تعالى من سورة الأحقاف: ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ (الأحقاف:26).

وذلك لأن العقول لا تهدى إلى معرفة كل ما ينفع الإنسان فى حياته ليأخذ به. ولا إلى معرفة كل ما يضر الإنسانَ فى حياته كلتيهما ليتجنبه. وينجو مما يضرُّه إلا فى ضوء الشرع الإلهى. ونور وحيه ؛ لأن العقول لا تعدو كونها آلة إدراك كحاسة العين التى هى آلة إبصار. والعين قطعاً لا تبصر مهما كانت سليمة وقوية إلا فى الضوء والنور، ولا يمكنها أن ترى وتبصر فى الظلام أبداً. وفى أى حال من الأحوال العقلُ مثل العين سواء بسواء. كما أن العين لا تبصر إلا فى الضوء والنور، فإن العقل لا يدرك إلا على ضوء الشرع الإلهى ونور وحيه تعالى إلى أنبيائه ورسله. ومن رأى غيرَ هذا فإنه يغالط نفسه ويكابر فى شىء من الخطأ ومن الضلال المكابرةُ فيه ؛ لكونه من المحسوس المشاهد.

كما أن دعوى الاكتفاء بالعلم عن الوحى الإلهى الذى تمثله الشرائع الإلهية الصحيحة، السليمة من التحريف، والزيادة، والنقص، والتبديل ـ كالدين الإسلامى مثلاً ـ دعوى باطلة قطعاً، ومن وجهين أيضاً:

الأول: أنَّ ما عند الناس من بعض العلوم، والمعارف فى الفنون والأخلاق، والآداب إنما هو ـ بدون شك ـ مأخوذ من الوحى الإلهى، إما بالنص اللفظى، أو بالاستنباط. وإنما نسب إلى بعض الأشخاص مغالطة وتضليلاً لا غير.

والثانى: أن العلم المادى مقصور على نفع الإنسان فى الجانب المادِّى منه، وهو الجسم ومتطلباته. وأما الجانبُ الروحىُّ ـ وهو الأهم قطعاً ـ فإن العلم المادِّى لم يخدمه فى شىء، ولم يقدم له أى نفع البتة ؛ لأنه لم يكن روحيًا مجانساً للروح فيقدم له ما هو فى حاجة إليه.

إن العلوم الإنسانية الخالية من الوحى الإلهى لم تعْدُ الكشفَ عن بعض الظواهر الكونية المادية فقط. ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ (الروم:7).

فكيف إذاً تستطيع أن تقدم أى خدمة للروح، وهى لم تكسرْ حجاب المادة بعدُ، ولم تعرف أى سر عن حقائق الكون وعلله.

وقد اعترف علماؤها بالعجز الكامل عن معرفة العلل والأسرار لأية ظاهرة من ظواهر الكون فقالوا: اسألونا بكيف، لا بماذا ؟ يعنون قولوا لنا: كيف وقع الشىء الفلانى؟ فإننا نجيبكم. أما لماذا وقع؟ فإننا لا نعرف الإجابة عنه، ولا نملكها أبداً ؛ وذلك لحرمانهم من علوم الوحى الإلهى.

وشىء آخر، أليست العلوم المادية قد بلغت الذروة فى الكمال بعد أن قطعت شوطاً بعيداً فى التطور والشمول فى كل المجالات، ومع هذا الكمال فإن البشرية فى شقاء دائم، ولم تَخْطُ يوماً خطوة إلا إلى شقاء آخر أكبر، والواقعُ يشهد. وكفى به شهيداً ؟ ولذا فإنه لا مناص من الاعتراف بالحقيقة والتسليم بها. وهى أن الدين الحق ضرورى للإنسان، لا غنى له عنه بحال من الأحوال. وأن كمال الإنسان وسعادته متوقفان عليه توقفَ المعلول على علَّته. والمسبب على سببه.

وليعلم أخيراً، أن الدين الذى نعنى ضرورته للإنسان -لتوقف سعادته وكماله عليه فى الدنيا والآخرة- إنما هو الدين الحق الصحيح، الدين الذى شرعه الله، وصحت نسبته إليه تعالى. أما الأديان الباطلةُ المفتراة كالبوذية، والمجوسية، والمحرَّفة المبدَّلة كاليهودية، والنصرانية فإنها وإن سُميت أدياناً فإنها خالية من الوحى الإلهى الذى يمثل فيها شرعاً إلهياً متكاملاً يقدم للإنسان كلَّ ما يحتاجُ إليه لإصلاح جسمه، وروحه، وإسعادهما فى الدنيا، والآخرة. والدليل الواضح لذلك أن أوروبا المتدينة بالنصرانية لم تتقدم حضاريًا إلا بعد التمرد والكفر بالدين الذى كانت تعيش عليه زمناً طويلاً وهو يكبلها ويقيدها. حتى قام رجال منها، وحاربوه، وخرجوا عن قيوده، وكفروا بشرائعه. وبذلك تم لهم الانعتاق من الضلال، والانطلاق من الباطل.

وإن بحثت البشرية الراشدة العاقلة عن دين إلهى صحيح سليم، فإنها واجدَتُه قطعاً وبدون شك فى الإسلام دين البشرية العام، الذى تضمنه كتابه القرآن الكريم، الذى لم ينقص منه حرف منذ أن نزل، ولم يزد فيه آخر. ولم تحرف فيه كلمة عن موضعها منه. ولم تخرج عبارة عن مدلولها قط، بالرغم من مرور ألف وأربعمائة سنة عليه تقريباً.

إن الدينَ الإسلامى هو الدين الكفيل بإنقاذ البشرية اليوم، والخروج بها من محنتها. محنة المادية العاتية، التى سلبتها ـ أو كادت ـ كلَّ معانى الآدمية الكريمة، والإنسانية الفاضلة حتى صيرت الإنسان آلة لا فهم لها ولا ذوق، ولا تقدير لها ولا احترام. ..

فإلى الإسلام يا عقلاء الناس ؛ فإنه الدواء لدائكم، والهداية لكم من ضلالاتكم ؛ فأقبلوا عليه عقيدة، وحكماً ونظاماً، فإنه ينجيكم ويسعدكم.

جرِّبوا، فإنَّ التجربة أكبرُ برهان !!

* * *